لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترا على مقابحه ابقا
على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت في الخلق بذكر او فكر وعلامة هولا
انهم يحبون ان يزاروا ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين اليهم واجتماعهم على باب احدهم
وطرقهم وتقبيلهم ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه
المخالطة وزيارة الناس لبغض اليه زيارة الناس له كما حكيناه عن الفضيل حيث قال
وهل جئتني الا لاتزين لك وتتزين لي وعن حاتم الاصم انه قال للامير الذي زاره حاجتي ان لا
اراك ولا تراني فمن ليس مشغولا مع نفسه بذكر الله عز وجل فاعتزاله عن الناس سببه شدة
اشتغاله بالناس لان قلبه متجرد للالتفات الى نظرهم اليه بعين الوقار والاحترام والعزلة
لهذا السبب جهل من وجوه احدها ان التواضع والمخالطة لا ينقص من منصب من هو كبير بعلمه او دينه
اذ كان علي كرم الله وجهه يحمل التمر والملح في ثوبه وبيده ويقول

لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع الى عياله

وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب وجراب الدقيق على ظهورهم
وكان ابو هريرة يقول وهو وال والحطب على راسه طرقوا لاميركم وكان سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
يشتري الشي فيحمله الى بيته بنفسه فيقول له صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع احق بحمله
وكان الحسين بن علي رضي الله عنهما يمر بالسؤال وبين ايديهم كسر فيقولون هلم الغدا يا ابن رسول الله
فكان يجلس على الطريق ويأكل معهم ثم يركب ويقول ان الله لا يحب المتكبرين الوجه الثاني
ان الذي شغل نفسه بطلب رضا الناس عنه وتحسين اعتقادهم فيه مغرور لانه لو عرف
حق المعرفة عرف ان الخلق لا يغني عنه من الله شيئا وان ضرره ونفعه بيد الله فلا نافع
ولا ضار سواه وان من طلب رضى الناس ومحبتهم بسخط الله عز وجل سخط الله عليه واسخط
عليه الناس بل رضا الناس غاية لا تدرك فرضا الله اولى بالطلب ولذلك قال
الشافعي رحمه الله ليونس بن عبد الاعلى والله ما اقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس
سبيل فانظر ما يصلحك فافعله ولذلك قيل

من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسور

ونظر سهل الى واحد من اصحابه فقال اعمل كذا وكذا فقال يا استاذ لا اقدر عليه لاجل الناس
فالتفت الى اصحابه وقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين

عبد

عبد يسقط الناس من عينه فلا يرى في الدنيا الا خالقه وانه لا يقدر احد ان يضره ولا
ينفعه وعبد سقطت نفسه عن قلبه فلا يبالي باي حال يرونه قال الشافعي رضي الله عنه
ليس من احد الا له محب ومبغض فاذا كان كذا فكن مع اهل طاعة الله عز وجل قيل
للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك
في السؤال فتبسم وقال اهون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان ومجاورة الرحمن
فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم
ومميتهم لم يسلم منهم قال موسى عليه السلام يا رب احبس عني السنة الناس فقال هذا شي
لم اصطفه لنفسي فكيف افعله لك واوحى الله عز وجل الى العزير ان لم تطب نفسا بان اجعلك
علكا في افواه الماضغين لم اكتبك عندي من المتواضعين فاذن من حبس نفسه في البيت
ليحسن اعتقادات الناس فيه واقوالهم فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الاخرة
اكبر لو كانوا يعلمون فاذن لا تستحب العزلة الا لمستغرق الاوقات بربه ذكرا وفكرا وعبادة
وعلما بحيث لو خالط الناس لضاعت اوقاته او كثرت افاته وتشوشت عليه عباداته
فهذه غوائل خفية في اختيار العزلة ينبغي ان يتقى فانها مهلكات في صور منجيات
الفائدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق ومجاري احوالهم والعقل
الغريزي ليس كافيا في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما تفيدها التجربة والممارسة
ولا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب والصبي اذا اعتزل بقي غمرا جاهلا بل ينبغي
ان يشتغل بالتعلم ويحصل له في مدة التعلم ما يحتاج اليه من التجارب ويكفيه ذلك ويحصل له
بقية التجارب بسماع الاحوال ولا يحتاج الى المخالطة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه
واخلاقه وصفات باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل مجرب في الخلا يسر وكل غضوب
او حقود او حسود اذا خلا بنفسه لم يترشح منه خبثه وهذه الصفات مهلكات
في انفسها يجب اماطتها او قهرها ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها فمثال القلب
المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتلئ بالقيح والمدة وقد لا يحس صاحبه بالمه
ما لم يتحرك او يمسه غيره فان لم يكن له يد تمسه او عين تبصر صورته ولم يكن معه من
يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه واعتقد فقده ولكن
لو حركه محرك او اصابه مشرط حجام لتفجر منه القيح وفار فوران الشي المختنق اذا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)